الكتاب وردود الفعل

لهذا الكتاب قصّةٌ وأصداء كما أسلفنا..

فبدء تأليفه كان ردّة فعل عنيفة أحدثتها أصداء كتابٍ أُلّفَ في العراق في حياة ابن تيميّة، فذاع صيتُه في الآفاق ونُقلت نُسَخُهُ من بلدٍ إلىٰ بلد!.

والكتاب هو (منهاج الكرامة في إثبات الإمامة) كتبه عالم الشيعة الإماميّة الحسن بن يوسف بن المطهّر الحلّي.

فعكف الشيخ ابن تيميّة علىٰ التأليف في الردّ عليه، فكتب كتابه هذا الذي أسهب فيه وأطال، وأسماهُ (منهاج السُنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدريّة)، وعرف في ذلك الوقت باسم (الردّ علىٰ الرافضي)[1].

ووقع هذا الكتاب في أيدي الكبار من أهل العلم والمعرفة، فماذا قالوا فيه؟.

لا شكّ أنّ منهم من يوافق ابن تيميّة في الردّ على الشيعة، ولكن حتّى هؤلاء لم يُخفوا دهشتهم لما انزلق فيه ابن تيميّة من كلام خطير.

وأهمّ مَن تكلّم فيه من هذا الفريق رجلان، هما: إمام الشافعيّة عليّ بن عبدالكافي السُبكي، وابن حجر العسقلاني.

---

(١) الدرر الكامنة ٢: ٧١.

فماذا قال السُّبكي ؟.

قرأ السُّبكي هذا الكتاب بعد وفاة مؤلّفه ابن تيميّة، فوصفه في أبيات من الشعر ابتدأها في الطعن على ابن المطهّر والثناء على ابن تيميّة لردّه عليه، فقال:

وابنُ المُطهّر لم تطهر خلائقُهُ ... داعٍ إلى الرفض غالٍ في تعصُّبِهِ

ولابن تيميّةٍ ردٌّ عليهِ بهِ ... أجادَ في الردّ واستيفاء أضربِهِ

ثمّ بعد هذا يصف طَرَفاً من عقيدة ابن تيميّة التي بثّها في فصول هذا الكتاب، فيقول:

لكنّه خلط الحقّ المبين بما ... يَشُوبُه كدَراً في صفوِ مَشْرَبِهِ

يُحاوِلُ الحَشْوَ أنّى كانَ فهو له ... حيثُ سيرٍ بشرقٍ أو بمغربِهِ

يرى حوادِثَ لا مبدا لأوّلها ... في الله ! سُبحانَهُ عمّا يَظُنُّ بِهِ

لو كانَ حيّاً يرى قولي ويفهمهُ ... رَدَدْتُ ما قالَ أقفُو إثْرَ سَبْسَبِهِ[1]

فهو إذن مزج الحقّ بالباطل، فتحوّل صفاءُ الحقّ كدَراً بما خالطه من باطل !.

ثم يذكر صنفين من هذا الباطل:

أوّلهما: الحَشو، في اتّباع أخبار الحشويّة الّذين ينقلون الأحاديث من غير فقه، فهو يتتبّعها ويَجْهَد في جمعها من أجل أن يعزّز رأيه وعقيدته.

والثاني: شذوذ عقيدته في الصفات، وما ينسبه إلى الله تعالى منها، وقد تنزّه عنها الباري جلّ جلاله، سُبحانَه عمّا يَظُنُّ به.

وقبل أن نغادر السُّبكي نقف على أبياتٍ رائعة لا بُدّ من وقفةٍ عليها..

---

(١) الوافي بالوفيات ٢١: ٢٦٢، طبقات الشافعية الكبرى ١٠: ١٧٦.

أبيات رائعة بما حملته من بُعد علميّ كبير، وأدبٍ إسلاميّ رفيع، في دعوةٍ إلى اتّباع الحقّ والدليل، بعيداً عن التعصّب والطعن والشتم والسباب..

أبيات نَظَمها السيّد محسن الأمين[1] ردّاً على السُّبكي في بيتيه الأوّلين الّذين يذكر فيهما ابن المطهّر فينال منه ويَسِمُهُ بالرفض ويمتدح ابن تيميّة في الردّ عليه رغم ما يجده عنده من أخطاء عقائديّة خطيرة، فيقول السيّد محسن الأمين:

لا تتّبع كُلَّ مَن أبدى تعَصُّبَهُ ... لرأيهِ نُصرةً منهُ لمذهبِهِ
بالرفضِ يرمي وليَّ الطُّهرِ حَيدرةً ... وذاكَ يُعرِبُ عن أقصَى تنصُّبِهِ
كُن دائماً لدليلِ الحقّ مُتَّبِعاً ... لا للّذي قالَه الآباءُ، وانتَبِهِ
وابنُ المُطهَّر وافَى بالدليلِ فإن ... أردتَ إدراكَ عينِ الحقّ فانتَبِهِ
إنّ السِّبابَ سلاحُ العاجزين، وبالـ ... ـبرهانِ - إن كان - يبدو كلُّ مشتبِهِ
والشَّتمُ لا يلحقُ المشتومَ تبعَتُهُ ... لكنّه عائدٌ في وجهِ صاحبِهِ
وابنُ المطهَّر قد طابت خلائقُهُ ... داعٍ إلى الحقّ، خالٍ من تعصُّبِهِ
حسبُ ابن تيميّةٍ ما كان قبلُ جرى ... لهُ وعابَهُ مِن أهلِ مذهبِهِ![2]

وماذا قال ابن حجر العسقلاني؟.

نقد ابن حجر هذا الكتاب من الزاوية التي كان أكثر تأثّراً بها، فلمّا كان تخصّصه الغالب عليه هو الرجال والحديث، قال: طالعتُ الردّ المذكور - ردّ ابن تيميّة على ابن المطهّر - فوجدته كما قال السُّبكي في الاستيفاء، لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في ردّ الأحاديث التي يوردها ابن المطهّر! وإن كان معظم ذلك من الموضوعات والواهيات[3]، لكنّه ردّ في ردّه كثيراً من الأحاديث الجياد، التي لم

---

(١) العلّامة الإمامي الشهير، صاحب (أعيان الشيعة) وغيره، مجتهد ومصلح كبير، توفّي سنة ١٩٥٢م.
(٢) أعيان الشيعة ٥: ٣٩٨.
(٣) هذا الحكم إنّما أتى من طريقة بعضهم في تضعيف كلّ من اهتمّ برواية فضائل عليّ وأهل البيت عليهم السلام، وقد

يستحضر حالة التصنيف مظانّها لأنّه كان لاتّساعه في الحفظ يتّكل على ما في صدره والإنسان عامدٌ للنسيان![1].

قال: وكم من مبالغة لتوهين كلام (الرافضي) أدّته أحياناً إلى تنقيص عليّ ﷺ !![2].

فإضافةً إلى الآفتين اللتين ذكرهما السُّبكي، وكانتا:

١ــ الحشو.

٢ــ التشبيه والتجسيم.

يكشف لنا ابن حجر عن آفاتٍ أُخرى، هي:

١ــ كثرة التحامل إلى الغاية.

٢ــ ردّه الكثير من الأحاديث الجياد.

٣ــ تنقيصه علياً ﷺ !.

تلك نبذةٌ من خفايا هذا الكتاب نقلناها عن أبرز من تكلّم فيه من علماء أهل السُنّة.

فماذا عن علماء الشيعة ؟.

﴿ تناولنا بحث هذه المسألة بشيءٍ من التفصيل في كتابنا (منهج في الانتماء المذهبي) فراجع فيه فصل (قصّة الوضع في الحديث).

(١) يالله من عذرٍ جميل !!.

(٢) لسان الميزان ٦: ٣١٩.

كتب غير واحد من أعلام الشيعة كتاباً مستقلاً

مفصّلاً في الردّ علىٰ كتاب ابن تيميّة، والمعروف منها كتابان:

الأوّل: (منهاج الشريعة) ـ في الردّ علىٰ منهاج السُنّة ـ للسيّد مهدي بن صالح القزويني، ألّفه في سنة ١٣١٨هـ.

والثاني: (إكمال المنّة في نقض منهاج السُنّة) ـ للسيّد سراج الدين الحسن بن عيسى اليماني اللكهنوي[١].

وهناك أيضاً ردود متفرّقة، منها ردود الأميني في كتابه (الغدير)، وردود الشيخ المظفّر في كتابه (دلائل الصدق).

والأهمّ في الموضوع: ماذا كان جواب ابن المطهّر نفسه؟.

لقد عُرض الكتاب علىٰ ابن المطهّر، فرآهُ مفتتحاً بالشتائم والسباب، مشحوناً بالحشو والمغالطات، فماذا كان جوابه؟.

قال ابن حجر العسقلاني: كان ابن المطهّر مشتهر الذكر حَسَن الأخلاق، ولمّا بلغه كتاب ابن تيميّة قال: لو كانَ يفهمُ ما أقولُ أجبتُه[٢].

هذا كلّ ما قاله ابن المطهّر رداً علىٰ ابن تيميّة!.

ونَقل ابن حجر العسقلاني في (الدُرر الكامنة) كلاماً آخر، قال فيه:

لمّا وصل إليه ـ أي ابن المطهّر ـ كتاب ابن تيميّة في الردّ عليه، كتبَ أبياتاً

---

(١) الكتابان مطبوعان، ذكرهما صاحب (الذريعة إلىٰ تصانيف الشيعة).

(٢) لسان الميزان ٢: ٣١٧.

أوّلها:

لو كنتَ تعلَمُ كُلَّ ما عَلِمَ الورَى ... طُرّاً لصرت صديق كلّ العالَم
لكن جهلتَ فقلتَ إنّ جميعَ مَن ... يهوى خلافَ هواك ليس بعالِم[1]

والأصحّ أنّ هذين البيتين ليسا في الردّ على الكتاب، وإنّما بعث بهما إليه لمّا كان يبلغه أنّ ابن تيميّة ينال منه ويشتمه في المجالس. ويؤيّد هذا الترجيح قرينتان:

أولاهما: المعنى الظاهر في البيتين، فليس فيهما أكثر من الإشارة إلى تحامل وتهجّم صدرا من الرجل لشدّة إعجابه بنفسه ومعلوماته، إعجاباً مصدره النقص في العلم والمعرفة.

والثانية: ما ذكره ابن عراق المصري في قصّة البيتين، قال: إن الشيخ تقيّ الدين ابن تيميّة كان معاصراً للشيخ جمال الدين ابن المطهّر ويتكلّم على الشيخ في غيابه، فكتب إليه الشيخ جمال الدين: (لو كنت تَعلمُ...) وذكر البيتين[2].

ومن هنا يظهر أنّ كلّ الذي قاله ابن المطهّر في ردّه على ابن تيميّة هي تلك الكلمة الوجيزة، كلمة الحكيم المُسَدَّد: «لو كان يفهمُ ما أقولُ أجبتُه»!.

---

(١) الدرر الكامنة ٢: ٧١، وذكر البيت الأوّل فقط، وفي لسان الميزان (٦: ٣٢٠) جاء مكان الأبيات بياضاً. والبيتان ذكرهما ابن عراق المصري في (التذكرة)، ونقل عنه الأمين في (أعيان الشيعة) ٥: ٣٩٨.

(٢) أعيان الشيعة ٥: ٣٩٨.